هل هن ناقصات عقل ودين



محمد سلامة جبر

ار السلام
عة والنشر والتوزيع والترجمة

هَلْ هُنَّ
نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِين؟

محمد سلامة جبر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر ت ٩٣٢٨٢٠ - ٢٦٣١٥٧٨
ص.ب ١٦١ الغورية فاكس ٢٦٢١٧٥٠

الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد

فما أكثر ما أسمع تذمر النساء من وصفهن بنقصان العقل والدين ، ولعل بعضهن قائمات بأمر الله ، وأزواجهن غارقون في معصية الله ، فمن الكامل - إذن - ومن الناقص ياعباد الله ؟!

هذا عند كثير من الناس إشكال ، وما هو بإشكال عند من ارتضى حكم الله ورسوله وتلقاه بالقبول ، فإن أدرك الحكمة من الحكم فبها ونعمت ، وإن غم عليه الأمر سلم وفوض إلى الله .

الحكم لله ..

والحق أن المسألة في حاجة إلى بيان واضح صريح ، وعلى الناس أن يرتضوا حكم الله ورسوله ويسلموا له ، وهذا كما قال تعالى : ﴿ **فلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمنونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ . ثم لا يَجِدُوا في أنفسهم حَرَجًا مما قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تسليمًا** ﴾ (النساء : ٦٥) .

صحة الحديث سندًا ومتنًا

قلت : والحديث الوارد في المسألة متفق على صحته ، ولا يجرؤ مسلم على تضعيفه أو رده ، ومن اتبع هواه سلك طريق التأويل متعسفًا ، فضل وأضل .

ونص الحديث كما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى ، ثم انصرف فوعظ الناس فأمرهم بالصدقة فقال : « **أيها الناس ، تصدقوا** » .

فمر على النساء ، فقال : « **يامعشر النساء ، تصدقن ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار** » .

فقلن : « وبم ذلك يارسول الله ؟ » .

فقال : « **تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن يامعشر النساء** » .

وفي رواية أخرى : قلن : « وما نقصان عقلنا وديننا يارسول الله ؟! » .

قال : « **أليس شهادة المرأة منكن مثل نصف شهادة الرجل ؟** » .

قلن : « بلى » .

فقال : « **أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟** » .

قلن : « بلى » .

قال :« **وذلك من نقصان دينها** » (اهـ) .

إشارة لها دلالة

قلت : قوله ﷺ « **شهادة المرأة منكن مثل نصف شهادة الرجل** » .

وقوله : « **حاضت لم تصل ولم تصم** » .

هذا منه بيان للنقصان المذكور بالقدر الذي تطيقه عقول النساء وعامة الرجال ، وإلا .. فإن حقيقة النقصان أبعد من ذلك وأعمق غورًا ، لأن حكمة النبوة تقتضي أن يخاطب الناس على قدر عقولهم .

ولو أن رسول الله ﷺ بسط القول لهن مبينًا اختلاف الفطرة والطبع بين الرجال والنساء ، وتباين القوى العقلية والمشارب النفسية والاستعدادات العصبية الموجبة للنقصان المذكور لما أدرك النساء حقيقة المراد ، ووقعن في حيرة يتنزه عن التسبب فيها رسول الله ﷺ .

وهذا لا ينفي أن يكون من مظاهر نقصان العقل النسيان ، ومن نقصان الدين ترك الصوم والصلاة حال الحيض .

وقد نص رسول الله ﷺ على هذين الأمرين الظاهرين لعدم مماراة أحد فيهما ، وجعلهما إشارة لما وراءهما من مظاهر أخرى جليه أو خفية .

نقصان العقل .. ما حقيقته ؟

تقدم ذكر الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، وفيه قال رسول الله ﷺ لجماعة النساء : « **ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن** » .

قلن : « وما نقصان عقلنا وديننا يارسول الله ؟ » .

قال : « **أليس شهادة المرأة منكن مثل نصف شهادة الرجل ؟** » .

قلن : « بلى » .

قال : « **أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟** » .

قلن : « بلى » .

قال : « **وذلك من نقصان دينها** » .

العقل يعني التقييد والإمساك

قلت : وبيان وجه الحق في المسألة يظهر بما يلي :

أولاً : المراد « بالعقل » في اللغة الربط والتقييد والإمساك ، يقال « عقل الناقة » إذا أمسكها وربطها وقيدها .

وعلى هذا كان العقل ممسكًا صاحبه عن الزلل ، مقيدًا إياه عن الخطأ ، ويقال فلان « عاقل » إذا كان رشيدًا حكيمًا حازمًا قادرًا على ضبط نفسه وإمساكها عن الميل مع الأهواء .

علة النسيان

إذا تبين هذا فالعقل عند النساء بالمعنى اللغوي المذكور ينزل درجة عن العقل عند الرجال ، وذلك ظاهر لا ينكر ، ولهذا كانت شهادة المرأة على

النصف من شهادة الرجل ، لأن « عقل » العلم بمعنى « إمساكه » أقل درجة مما هو عند الرجل ، وهذا صريح قوله تعالى : ﴿ **وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا ٱلْأُخْرَى** ﴾ (البقرة : ٢٨٢) .

ومعنى « أن تضل إحداهما » أن تنسى ، فإذا نسيت بعض الأمور التفصيلية التي تقتضيها صحة الشهادة ذَكَّرَتْها صاحبتها .

ومنشأ علة النسيان عند النساء غلبة الانفعال عليهن ، والانفعال خاصة من خصائص الأنوثة لضرورة قيامها بأداء ما خلقت من أجله ، فهي زوجة راعية وأم حانية ، ونجاحها في هذين المجالين يقتضي تسليحها بصفة الانفعال ، ومن ثمار تلك الصفة الحنو على الولد ورعاية الوالد والصبر على مشاق الحياة وتحمل تكاليف الأمومة والزوجية بصدر رحب ، والرغبة في البذل والعطاء .

فإذا اجتمع مع تلك الصفات المحمودة في المرأة نقيصة النسيان الذي اقتضاه الانفعال وضعف التماسك كان ذلك من حسناتها . ففي ميزان الاعتدال تزيد كمالات الأنوثة على نقائصها .

وهذا حين تعترف المرأة بأنوثتها وتقر بخصائصها ، ولا تتكبر على وظيفتها فتخرج عليها إلى مصارعة الرجال في الأعمال وتحسب أن ذلك يجعلها مساوية للرجل وتزعم أن عملها يحررها من استرقاق الزوج لها بتفرده بكفالتها والإنفاق عليها !!

وقد غاب عنها أنها حين فرت من عبودية الزوج ـ في زعمها ـ وقعت أسيرة ذليلة لرئيسها الأعلى والأدنى ومن بينهما ومن حولها !!!

ولست مُطَالَبًا بإثبات ذلك . فإنه مشاهد معلوم ، إلا أن الهوى يعمي ويصم .

نقصان العقل في الدرجة والنوع

تقدم أن من معاني « العقل » في اللغة « الإمساك والتقييد » .

وعلى هذا المعنى يكون عقل المرأة ناقصًا في الدرجة عن عقل الرجل لضعفه عن إمساك العلم التفصيلي وذلك لصفة الانفعال الذي يصاحبه الذهول وشرود الذهن غالبًا .

ولهذا كانت شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل .

وليس هذا كل ما هناك ، وإنما هو أظهر ما يمكن أن يقال للنساء لإعلامهن بنزول درجتهن في العقل عن درجة الرجل .

الخفة والرعونة

مما يترتب على ما تقدم ، ما نراه واضحًا في طبائع النساء من سرعة الغضب والرضا وعدم التماسك أمام الأهواء ودواعي الإغواء ، وسرعة الاستجابة لدعاة الفتنة والضلال ، وغفلتهن عما يراد لهن وبهن من السقوط في مهاوي الرذيلة باسم الحضارة والتحرر من قيود الدين والتقاليد .

فلا عجب إذن أن نرى المرأة تتخذ مطية لكل داعٍ للشر أو للباطل ، وأقل ما هنالك أن ترى كافة الإعلانات مزينة بصورة أنثى في وضع الإغراء !!

ولو عقلت المرأة لأبت وترفعت أن تُتَّخَذَ جسدها وسيلة رخيصة لترويج السلع ، وما ذلك كله إلا لما قدمت من نقصان عقل المرأة بالمعنى اللغوي ، فلا تتماسك غالبًا أمام ما يثيرها من عوارض الحياة الدنيا ، فرحًا أو حزنًا ، خيرًا أو شرًا .

العقل محل الإدراك

ماتقدم بيان لتباين العقل بالنظر إلى معناه في اللغة عند الرجل والمرأة ..

أما المعنى الآخر الذي يراد من لفظ العقل ، فهو كما قال الفيروز أبادي صاحب القاموس المحيط : « نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية » .

وهو عند الإمام الغزالي مساو لمعنى الروح ، والقلب ، والنفس ، فهي ألفاظ مختلفة تدل على معنى واحد مشترك بينها ، وقد عرف الروح بقوله « هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول عن درك حقيقته » (اهـ الإحياء ٣ / ٤) .

قلت :

العقل على هذا الذي بَيّنَهُ الإمام الغزالي وصاحب القاموس يعني الجزء المدرك من الإنسان ، والإدراك محله العقل ، أو القلب ، أو الروح ، قل ما شئت فالأسماء متعددة والمسمى واحد .

فإذا نظرنا إلى حقيقة العقل في ضوء ذلك التعريف ، وأردنا أن نطابق بينه كما هو عند الرجل ، وبين ما هو عند المرأة ، نرى أن قوة الإدراك تزيد في النوع والدرجة عند الرجل عما هي عليه عند المرأة .

أما تباين الإدراك في نوع المدركات فذلك واضح في تفرد الرجال بالعلوم التجريبية الرياضية والفلسفية ، لذلك كان الكشف والاختراع من نصيب الرجال، ولا نلتفت إلى قلة من النساء برزن في بعض المجالات التي سبقهن فيها الرجال ، فذلك خلاف الأصل ، ولكل قاعدة شواذ .

هذا بالنظر إلى عدم قدرة قوى الإدراك عند النساء مشاركة الرجل فيما

أعد له بالفطرة وأصل الخلق من حيث النوع ..

أما من حيث الدرجة ، فأرجو أن أوفق إلى بيانه في كلمة تلي هذه إن شاء الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

إلى أين يامعشر النساء ؟!

تقدم بيان المراد من لفظ « العقل » .. وببيان ذلك أدركنا سر اتصاف عامة النساء بنقصان في عقولهن بالقياس إلى عقول الرجال ..

وقد بينت كذلك أن هذا النقص أحد لوازم الأنوثة وخصائصها ، وعليه فهو صفة كمال تتم به أنوثة الأنثى ، وليس عيبًا يحط من قدرها ، فما يتم به كمال المرأة يعد من عيوب الرجل ، وما يتم به كمال الرجل يعد عيبًا من عيوب المرأة ، فحسبك أن تصف امرأة بالرجولة لتعيبها ، وحسبك كذلك أن تصف رجلاً بالرقة والنعومة لتحط من قدرة .

ولو أدرك النساء اللائي يصارعن من أجل اللحاق بالرجل أنهن إنما يصرعن أنوثتهن ، ويخسرن خصائصهن ، ولا ينتصرن إلا بهزيمتهن ، لو أدركن ذلك لما رأيت واحدة منهن ترفع صوتها منادية بالمساواة ..

وإذا كان من الحق وصم بعضهن بالنقصان المعيب ، فإنهن أولئك النسوة المسترجلات المتمردات على وظائفهن التي فطرهن الله عليها ، وما خلقهن إلا لها ، غير أن العمى في البصائر لا في الأبصار ، والجهل في الجهل بمصدر النور والإبصار !!

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج : ٤٦) .

المـرأة المسلمـة

قلت :

إذا تبين ما تقدم ، فإن المرأة المسلمة مستسلمة لله ، راضية بحكمه سعيدة بما جبلها عليه من صفات كريمة تباين طبائع الرجال وخصائصهم .

وهي تطيع الله حين تطيع زوجها بالمعروف ، وتبتغي القرب من الله حين تتقرب إلى زوجها بالمألوف ، وترجو رضوان الله حين ترعى بيتها ، وتحنو على أولادها وتجنبهم - بإذن الله - كل أمر مخوف . وهي تستجيب بذلك لأمر الله لها :

﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْئَلُواْ ٱللهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ ٱللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء : ٣٢) .

وتستسلم كذلك لحكم الله في سيادة الرجل عليها :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللهُ ﴾ (النساء : ٣٤) .

المرأة المسترجلة

أما المرأة المسترجلة ، فإنها ترى البيت سجنًا ، والزوج سجانًا ، والأولاد قيدًا ، وانفراد زوجها بالعمل والنفقة إذلالاً لها وتحكمًا فيها ، فتأبى إلا الخروج والامتهان ، وترضى بتحكم رئيسها وما يكلفها به من مشاق الأعمال ، بينما تأنف من طاعة الزوج ولو بالمعروف !!

مثل هذه من النساء كثيرات ، وإن وصفهن بنقصان العقل والدين

لا يستقيم لأنهن على الحقيقة بلا عقل ولا دين !!

ولعل أسوأ من هؤلاء النساء ، أولئك الرجال الذين يزينون للمرأة التحرر من رق الرجل كما يدعون ، ويدعونها إلى التحرر باسم التحضر ، ويغرونها بالخروج من حصنها حتى يتيسر لهم صيدها !!

فنعوذ بالله من النفاق والشقاق وسوء الأخلاق .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

قالت : أبغض الحلال أهلاً !!

تحدثت في كلمتي السابقة عن طائفة من النسوة المسترجلات المتمردات على فطرتهن وما جبلهن الله عليه من طبائع تتم بها أنوثتهن .

وقلت إن وصف أولئك المسترجلات بنقصان العقل والدين لا يستقيم ، لأنهن ـ على الحقيقة ـ بلا عقل ولا دين !!

ويشاركهن في انعدام العقل والدين طائفة من الكُتّاب يسعون إلى إفسادهن بدعوى التحرر والانطلاق ومشاركة الرجل فيما خصه الله به من واجب الكسب والإنفاق حتى تتحرر من سلطانه ولا يكون له عليها فضل النفقة !!

وهذا عندهم هو « التحرر الاقتصادي » للمرأة الذي ينجيها من استعباد الرجل ـ بزعمهم ـ ويجعلها تقول بملء فمها :

« أبغض الحلال .. أهلاً » .

وقد قرأت هذه الكلمة لإحداهن ، وقالت بلا حياء :

« لقد ولى ذلك الزمن الذي يجعل المرأة تحت سيادة الرجل باسم التفرد بالإنفاق ، وإنها اليوم وقد شاركته العمل والنفقة لم تعد تخشى الطلاق !! » .

وفي كلمة أخرى دعته إلى دخول المطبخ !!

ولست أدري ما تخفي وراء ذلك من مطالب ؟!

ولست أدري كيف يسوغ هؤلاء أن يكون لكل شركة أو مؤسسة أو دائرة رئيس يرجع إليه ثم يستنكرون أن يكون للأسرة رب يسوس أمورها ويتحمل أثقالها ويدين له أفرادها بالطاعة المبصرة ؟!

لا أنكر أنَّ يختص الله بعض النساء بمزيد عقل وحسن تصرف دون الزوج ..

ولكن المرأة العاقلة تحرص على الإبقاء على مكانة رجلها وهيبته في بيته وعند الناس ، لأن الأبناء الذين ينشأون في بيت تتسلط فيه أمهم على شؤون الأسرة وتطوي أباهم تحت هيمنتها ، ينشأون نشأة غير سوية ، ويعانون في قابل حياتهم من ذلك الوضع الأسري المنكوس !!

كوني أمة لله تفلحي بإذن الله

إن خلق المرأة على الصفة التي ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث المتقدم ، وصرح لهن فيه بأنهن غالبات للرجال على الرغم من نقصان عقولهن ودينهن .. هذا لا يستلزم كمال كل الرجال ونقصان كل النساء ، فما أكثر الرجال الحمقى ، وما أقل العقلاء !! وكم من امرأة عاقلة فاضلة تزن عند الله آلاف الرجال ، وذلك معروف مشهود ، وبوسع كل امرأة تؤمن بالله ورسوله أن تبلغ بإذن الله كمالها الذي خلقت له إذا سلمت لحكم الله ورضيت بقضائه ، وأدت حق الله وحق الزوج وحق الولد ..

وأقول « حق الولد » لأن كثيرًا من الأمهات يتركن أولادهن في رعاية الخادمات ليتفرغن للعمل ، أو لذكر معايب الناس في جلسة شاي الصباح ، أو للتسكع في الأسواق ..

بحق أقول ..

ما هؤلاء بأمهات .. ولا هن زوجات مرضيات .. ولا ربات بيوت راعيات ..

ما هن إلا ثُلَّةٌ من اللاهيات ، وإنهن غدًا لمن البائسات !!

والحمد لله على كل حال .

ونعوذ بالله من حال أهل النار .

قصور البيان عند النساء

تقدم بيان بعض أوجه نقصان العقل عند المرأة بالقياس إلى عقل الرجل ، وذلك لبيان الإعجاز في حديث رسول الله ﷺ ، وفيه :

« ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن » .

واليوم أتناول - إن شاء الله - وجهًا من وجوه نقصان عقل المرأة وهو عدم القدرة على إبداء الحجة وإظهار الحق والتعبير باللسان عما في الجنان .

ويعبر عن ذلك « بقصور البيان » .

وقبل أن أشرع في بيان ذلك أذكر قوله تعالى الدال عليه حتى أخرس الألسنة التي ستمتد إنكارًا له ، وإذا قال الله وقال رسول الله فقولهما هو الحق ، وماذا بعد الحق إلا الضلال المبين ؟!

قال تعالى : ﴿ **أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَٰكُم بِٱلْبَنِينَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُواْ**

ٱلْمَلَـٰٓئِكَـةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًـا أَشَهِـدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) .

وسبب نزول الآية زعم الكفار أن الملائكة بنات الله ، فبين سبحانه كذب قولهم من وجوه عدة ، منها أنهم بجهلهم خصوا أنفسهم بالبنين ، وجعلوا لله البنات ، ومنها أن البنات لا يُحْسِنَّ البيان وذلك من النقصان ، فكيف يتخذ سبحانه من الأبناء من ذلك شأنهن ؟!

ومنها أن البنات ينشأن في الحلية أي : أنواع الحلي والزينة ويربين على ذلك ، وهذا يشير إلى ضعفهن ورقتهن .

كل ذلك جاء في الآية الكريمة لمجرد إبطال زعم الكفار أن الملائكة إناث وأنهم بنات الله .

أوجه النقصان

وواضح أن دليل إثبات كذبهم قائم على صفات النقصان في الإناث ، فكيف يتخذ سبحانه من يتصفن بتلك الصفات ، وهو القادر أن يصطفي من خلقه ما يشاء لو أراد ـ جدلاً ـ سبحانه .

وهذا لمجرد الدفع وإظهار كذبهم وإلا فإن « لو » هنا ـ في الآية ـ حرف امتناع لامتناع .

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (الزمر : ٤) .

أما الآيات الأربع الجامعة لوجوه الدفع المذكورة آنفًا ، فالأولى منها فيها استنكار تخصيص أنفسهم بالبنين ، وجعل الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ، ثم ادعاؤهم أنهم بنات الله ، تعالى الله عن فريتهم علوًا كبيرًا .

وفي الآية الثانية يعيب سبحانه على الكفار اسوداد وجوههم من الإناث إذا بشروا بهن ومع هذا يزعمون أنهن بنات الله !!

وفي الآية الثالثة يذكر سبحانه صفتين ملازمتين لنوع الإناث هما فيهن من النقص إذا أضيفا إلى الذكور ، لأن ما يليق بالنساء يعيب الرجال ولا ريب.

وهاتان الصفتان هما :

١ ـ النشأة الناعمة في الحلي والحلل .

٢ ـ عدم القدرة على البيان عما في الجنان .

وعن هذا ينشأ ضعف الحجة وقصور البيان .

ويدل لما قلت قوله تعالى في معرض توبيخ كفار مكة :

﴿ أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف آية : ١٨) .

وسبب توبيخهم أنهم زعموا أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله :

﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴾ (الزخرف : ١٩) .

وعجيب أمر هؤلاء الذين يزعمون ذلك افتراءً على الله ، بينما يتغيظون كمدًا حين يبشر أحدهم بالأنثى !!

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِٱلْبَنِينَ ۞ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (الزخرف : ١٧) .

النشأة الناعمة

فإن قلت :

ما وجه ذكر النشأة الناعمة في أنواع الزينة ومظاهر الدلال في سياق تعداد ألوان نقصان الأنثى ؟!

قلت :

هذا نقصان نسبي إضافي وليس نقصانًا مطلقًا من كل وجه ، وهذا كما لو قلنا :

« المرأة مبتلاة بالحيض ، والحمل والإرضاع » .

وهذا من خصائص النساء ، ولا تتم أنوثة المرأة إلا به ، ومع ذلك تنزلها تلك الصفات عن الكمال بالإضافة إلى الرجل ، ولا يخفى ما في الحيض والحمل والإرضاع من مشقة تبلغ حد المرض أو تزيد ، ولهن لقاء ذلك أجرهن عند الله ، ومكانتهن عند الرجل الصالح ، ومع هذا فهو من قسم البلاء المستلزم لنوع من النقصان وإن كان محبوبًا ، فسبحان من جعل في نوع من النقصان نوعًا من الكمال ، وجعل في نوع من الكمال نوعًا من النقصان !!

ذلاقة اللسان

فإن قلت :

النساء مشهورات بكثرة الكلام شهرة ظاهرة للعيان ، فما وجه وصفهن في الآية بعدم القدرة على البيان ؟!

قلت :

نص الآية ﴿ **وَهُوَفِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ .

وهـذا يعني أن المرأة إذا وقفت في مـوقف الخصـومـة لتبين الحـق وتبطـل الباطل فإنها تقصر عن الكمال في البيان ، ولعلها تتكلم ساعات متواصلـة ، غير أنها تفتقر إلى الصياغة المتقنة ، والحجة الدامغة ، والقول المبين !!

وهذا أمر يشهد له اليوم القضـاة الـذين يستمعون إلى النسـاء المحـاميـات ، فإنهم يسمعون كثيرًا ويأخذون قليلاً ، وصدق الله العظيم :

﴿ أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ ؟! .

خير الكلام أوجزه

وليست كثرة الكلام ـ التي هي من خصائص أكثر النسـاء ـ دليلاً على قوة البيـان وبلاغـة اللسـان ، فهـذا رسول الله ﷺ كان مقلاً في الكلام حتى إنـك لتعده عدًا ؛ ومع هذا فلا حجة أبلغ من حجته ، ولا بيـان أظهر ولا أجمل من بيانه .

ويليه في ذلك أكابر الصحابة والعلماء العاملين ، وأصحاب الفكر القويم .

وهذا لا ينفي وجود قلة من فضليات النساء قد آتـاهن الله الحكمة وفصل الخطاب ، وإنما قولنا على الأعم الأغلب ولكل قاعدة شواذ .

والحمد لله وكفى .

وسلام على عباده الذين اصطفى .

لوازم قصور البيان عند النساء

تقدم بيان المراد من قوله تعالى :

﴿ أَوَ مَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ (الزخرف : ١٨) .

وقد دلَّ السياق على أن المراد « بالخصام » مقام إظهار الحجة ، والنسـاء في هذا المقام قاصرات في الدرجة عن الرجال ، وإذا أعيت الحجة إحداهن أسعفتها دموعها .

وهذا القصور في الحِجَاج أحـد مظـاهر نقصـان العقل عنـد النسـاء ، وسره ما فطرهن الله عليه من خصائص تعينهن على أداء وظيفة الأمومة .

إذا تبين هذا فنقصان العقل في المرأة كمال لها من وجه آخر ، لأن كمال المرأة في حسن عشرتهـا وطـاعتهـا لـزوجهـا في المعروف وصبرهـا على مشـاق الحمـل والرضاعة والقيام على رعاية الأسرة ، وهذا الكمال من هذا الوجه لا يتحقق إلا بغلبة مشاعر القلب على تفكير العقل .

الكيـد .. والكـذب ..

وضعف الحجة عند النساء المعبر عنه بقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ يستلزم ـ كما تقدم ـ عدم تماسكهن إذا أعيتهن الحجة ، وسرعة انهيارهن ، ويعبرن عن ذلـك بـالصيـاح والبكاء وبعض الحركات التي تثير الإشفاق ، وهذا مُشاهد لا يحتاج إلى إثبات .

ومن مستلزمات قصور البيان عند النسـاء سوى مـا تقـدم مـا هو معروف عنهن من الكيد والكذب !!

ولعل كثيرًا من الناس يجـادلون فى تلـك الحقيقـة الواضحـة ، لـذلـك لن أثبتها بقولي، وإنما بقول الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديـه ولا من خلفـه .

وحسبي هنا أن أورد مـا جـاء من كيـد امرأة العزيز ليوسف عليـه السلام ولما انكشف أمرها لزوجها رمت البريء العفيف بالفاحشة !!

تأمل قوله تعالى :

﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وغَلَّقَتِ الأبْوابَ وقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ الله إنَّهُ ربيَ أحْسَنَ مَثْوَايَ إنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (يوسف : ٢٣) .

ثم تأمل قول زوجها لما تبين له افتراؤها على الشريف العفيف يوسف النبي الأبي :

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (يوسف : ٢٨) .

ومع افتضاح أمرها وانكشاف سترها وشيوع ذلك بين نساء المدينة لم ترعو المرأة الكائدة الحاقدة ، وإنما أضافت إلى كيدها الأول كيدًا جديدًا ، أوقعت به نساء المدينة في حب يوسف لتبدي لهن حجتها ـ على طريقتها في الكيد ـ وتثبت لهن عدم إطاقتهن الصبر عنه .

﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَالِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّاغِرِينَ ﴾ (يوسف : ٣٢) .

ونعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

لوازم قصور البيان « ٢ »

وقد بينت فيما سلف وجوه النقصان العقلي ، ولم أتكلم بعدُ في بيان وجوه النقصان في الدين ، إلا أن القارىء اللبيب ـ رجلاً كان أو امرأة ـ يدرك

بجلاء ارتباط العقل والدين في رباط واحد ، وكلاهما مؤثر وفاعل ومنفعل .

وقد انتهيت في المقال السابق من تقرير مسألة تلازم العجز في البيان عند الحجاج مع لجوء أكثر النساء إلى الصراخ والبكاء والحركات التي تثير الشفقة عليهن .

ومن مستلزمات ذلك القصور في البيان كذلك ما هو معروف ومشهور من لجوء المرأة إلى الكيد والكذب تعويضًا عن النقص في إبداء الحجة وغلبة الخصم بقوة المنطق .

وهذا الكيد ليس وقفًا على غير الصالحات من النساء ، بل صدر ويصدر عن كثير من الصالحات القانتات ، ولكن .. سرعان ما يعصمهن دينهن عن التمادي في الكيد ، والإصرار على الكذب .

وسأذكر على ذلك دليلاً من صريح القرآن وصحيح السنة حتى لا تماري في تلك الحقيقة مؤمنة .

ولعل خير نساء الأمه على الإطلاق هن نساء رسول الله ﷺ ، فإذا ثبت أنهن قد أخذن حظًا مما وصف به رسول الله ﷺ عامة النساء فذلك أحرى أن يلحق غيرهن من النساء وينلن حظًا من نقصان العقل والدين .

فتأمل معي الآيات التالية ، وتأمل كذلك سبب نزولها لتدرك أن المرأة هي المرأة حتى لو كانت زوجة رسول الله ﷺ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا

إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ (التحريم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤، ٥) .

وقد جاء في سبب نزول تلك الآيات ما يؤكد أن غلبة عاطفة المرأة وغيرتها قد ينسيانها ما تقتضيه الأمانة والصدق وحسن الخلق ، فتلجأ إلى الكيد المستلزم للكذب ، ولا تبالي في حال ثورة غضبها أو غيرتها بما يترتب على كيدها من أضرار وأوزار !!

ومن رحمة الله بنساء النبي ﷺ أنه أنزل تلك الآيات البينات تعليمًا لهن ونذيرًا ، فأي امرأة بعد نساء رسول الله ﷺ تزعم أنها تامة العقل والدين ؟! أما سبب النزول تفصيلاً فأرجو أن أذكره في المقال التالي إن شاء الله .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

اعتراف أم المؤمنين عائشة وتوبتها إلى الله

كمال الدين والعقل يعصم الإنسان - بإذن الله - من الزلل واتيان ما لا يليق ولا ينبغي .

وبقدر تمام الدين والعقل تكون العصمة والاستقامة ، وصاحب المعصية جاهل حتى لو كان أعلم أهل زمانه .

ونقصان الدين والعقل المؤدي إلى سلوك غير قويم ، ليس وقفًا على النساء وحدهن ، فما أكثر الرجال الطوال العراض الجهال الفسقة !! وإنما المقصود غلبة النقص على النساء عند المقابلة ، وهذا كما إذا قلنا : الرجال أطول من النساء ، والنساء أطول عمراً من الرجال .

فهذه المقولة صحيحة لا شك فيها ، غير أن صحتها لا تستلزم العموم ، فهناك من النساء من تفوق الرجال طولاً ، ومنهن من تقل عن الرجال عمرًا .

غيرة عائشة تدفعها إلى الكيد

وبعد التمهيد المتقدم أشرع ـ بإذن الله ـ في بيان سبب نزول الآيات الخمس الأولى من سورة التحريم التي أوردت نصها في المقال السابق ، وفيها دلالة واضحة على غلبة طباع الأنوثة على كافة النساء إلا من رحم ربك ، غير أن المرأة الصالحة سَرْعانَ ما تعود إلى رشدها وتتوب إلى ربها بعد أن يتبيَّن لها أنها كانت أسيرة هواها أو غيرتها .

قالت عائشة رضي الله عنها :

«كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل ، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر ، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس (تعني : أطال المُقامَ عند حفصة) فَغِرْتُ ، فسألت عن ذلك ، فقيل لي :

« أهدت لها (أي لحفصة) امرأة من قومها عُكَّةَ عسل ، فسقت النبي ﷺ منه شربة » .

« فقلت (القائلة عائشة) أَمَا والله لنحتالن له » (أقسمت عائشة أن تحتال حتى تصرف رسول الله ﷺ عن شرب العسل عند حفصة غيرة منها) .

ثم قالت عائشة : « فقلت لسودة بنت زمعة : إنه سيدنو منك ، فإذا دنا منك فقولي : « أكلت مغافير ؟ » (والمغافير جمع مغفور وهو صمغ حُلْوٌ له رائحة كريهة) فإنه سيقول : « لا » فقولي له : « ما هذه الريح التي أجد ؟ » سيقول لك : « سقتني حفصة شربة عسل » فقولي « جرست نحلة العرفط » (أي أن النحل الذي أنتج ذلك العسل رعى من شجر العضاة ذي الشوك) .

ثم قالت عائشة لسودة : « وسأقول ذلك ، وقولي له ياصفية ذلك » « صفية بنت حي إحدى زوجاته) .

وهكذا أحكمت عائشة ـ رضي الله عنها ـ الحيلة لشدة غيرتها وأشركت معها سودة وصفية . وتم الأمر كما رسمت عائشة .

قالت عائشة : « فلما دار إلي قلت نحو ذلك » (أي ما هذه الريح التي أجد منك) فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك » .

« فلما دار إلى حفصة (تعني بعد عصر اليوم التالي) قالت له : « يارسول الله ، ألا أسقيك منه ؟ » (أي عسل الأمس) قال : « لا حاجة لي فيه » قالت عائشة : تقول سودة : « والله لقد حرمناه » فقلت لها : « اسكتي » (اهـ البخاري ـ كتاب الطلاق) .

أيكن المعصومة بعد عائشة ؟!

قلت : تلك الرواية الصحيحة التي أخرجها البخاري تؤكد تلك الحقيقة التي نص عليها رسول الله ﷺ في حديثه للنساء « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن » .

ولا أحسب امرأة بعد ذلك تزعم أنها مستثناة من قاعدة النقصان بعد أن تبين ما تقدم ، والصالحة هي التي تقر بخطئها ، وتستغفر ربها ، ولا تتكبر على زوجها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من مظاهر النقصان

تقدم بيان ما فطر الله عليه النساء من غيرة قد تكون محمودة ، وقد تكون مذمومة .

وقد تدفعها غيرتها الشديدة إلى الكيد والاحتيال . وتنسى في غمرة ذلك حق الله عليها وحق الزوج وحق الأهل والولد !!

وسر ما تقدم ما جاء في الحديث الصحيح من وصف النساء بنقصان العقل والدين .

وقد بينت تفصيلاً أوجه النقصان العقلي عند المرأة ، أما نقصان الدين ، فمنه ما جاء في الفصل السابق ، وفيه أن عائشة رضي الله عنها ـ وهي أم المؤمنين ذات العقل والدين ـ حملتها غيرتها على الكيد حتى آذت رسول الله ﷺ ، ثم فاءت إلى الحق وتابت إلى الله ، ونزل في ذلك قرآن يتلى (الآيات الخمس الأولى من سورة التحريم) .

عائشة وحفصة (رضي الله عنهما)

واليوم أذكر ـ إن شاء الله ـ قصة أخرى تبين وجهًا آخر من الطبع الأنثوي الراسخ ، لأنه جبلة جَبَلَ الله عليها النساء عامة ، وليس للمرأة الصالحة من سبيل إلا الفيئة إلى الحق إذا غلبها طبعها واستبد بها ضعفها .

قال ابن كثير في تفسير سورة التحريم : « ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما المتظاهرتان ، الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لم أزل حريصًا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى : ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ حتى حج عمر وحججت معه ، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالإداوة (أي جراب الماء) فتبرز ثم أتاني ، فسكبت على يديه فتوضأ ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى : ﴿ **إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ . فقال عمر : « واعجبًا لك يابن عباس » . ثم قال : « هما عائشة وحفصة » (وحفصة ابنته) .

ثم قال عمر رضي الله عنه : « وكنا معشر قريش قومًا نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم (يعني الأنصار) فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم (أي : التطاول على أزواجهن كما يفعل نساء المدينة) .

ثم قال عمر رضي الله عنه : «وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي ، فغضبتُ يومًا على امرأتي ، فإذا هي تراجعني (أي: ترد علي وتغاضبني) فأنكرت أن تراجعني (لأنه لم يعهد منها ذلك ، وإنما تعلمت من نساء الأنصار) .

قال عمر : « فقالت : ما تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه (تأمل !!) وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل !! » .

واعجبًا لكن !!

زوجات رسول الله ﷺ - وهن من أكمل النساء - يغاضبنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل ؟!

إن هذا لفي القياس بديع !!

ومن من النساء بعد هذا تجرؤ على دعوى الكمال ، وتغضب حين يقرع سمعها حديث النقصان ؟!

وللحديث بقية

هذا .. ولحديث ابن عباس وعمر وعائشة وحفصة بقية فيها عظات وعبر ..

والحمد لله وكفى

وسلام على عباده الذين اصطفى

من مظاهر النقصان « ٢ »

تقدم قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين راجعته امرأته في الكلام وغاضبته : « فأنكرت أن تراجعني » (يعني لامها حين راجعته) .

فقالت : « ماتنكر أن أراجعك ؟! فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه ، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل !! » .

قال عمر (والرواية عن ابن عباس) : « فانطلقت فدخلت على حفصة (ابنته) فقلت : « أتراجعين رسول الله ﷺ ؟! » .

قالت : « نعم » .

قلت : « وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل ؟! » .

قالت حفصة : « نعم » .

فقال عمر : « قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر ، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت ؟! » .

ثم قال رضي الله عنه : « لا تراجعي رسول الله ﷺ (يعني : لا تغاضبيه) ولا تسأليه شيئًا (أي : من المال) وسليني من مالي ما بدا لك ، ولا يغرنك إن كانت جارتك هي أوسم منك وأحب إلى رسول الله ﷺ منك » (يعني عائشة) .

ثم قال عمر رضي الله عنه : « وكان لي جار من الأنصار ، وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ، ينزل يومًا وأنزل يومًا ، فيأتيني بخبر الوحي وغيره ، وآتيه بمثل ذلك ، فنزل صاحبي يومًا (أي : إلى المدينة من العوالي حيث يسكن) ثم أتى عشاءً ، فضرب بابي ، فخرجت إليه فقال : « حدث أمر عظيم !! » .

فقلت : « ومـا ذاك ؟ أجـاءت غسـان ؟ » (أي : أهـاجمتنـا قبيلـة غسان ؟!) .

قـال : « لا ، بـل أعظم من ذلـك وأطـول ، طلـق رسـول الله ﷺ نساءه !! » .

فقلت : « قد خابت حفصة وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائنًا » .

ثم قال عمر رضي الله عنه : « حتى إذا صليت الصبح شددتُ عليَّ ثيابي ، ثم نـزلت فـدخلت على حفصـة وهي تبكي ، فقلت : « أطلقكن رسـول الله ﷺ ؟ » .

قالت حفصة : « لا أدري ، هو هـذا معتزل في هـذه المشربـة » قـال عمر : « فأتيت غلامًا لـه أسود (يعني خـادم رسول الله) فقلت : « استـأذن لعمر » فدخل الغلام ثم جاء إلي وقال : « ذكرتـك لـه فصمت » (أي سكت ولم يـأذن لك بالدخول) .

(ثم كرر عمر الاستئذان حتى أذن له رسول الله ﷺ وكان من حـديثـه معه أن قـال : « يـارسـول الله ، قـد دخلت على حفصـة فقلت : « لا يغرنـك إن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك » .

فتبسم رسول الله ﷺ » .

هجـر ولم يطلق

قلت : وفي آخر الحـديث بين عمر أن رسـول الله ﷺ لم يكن قـد طلـق نساءه وإنما أقسم ألا يدخل عليهن شهرًا من شدة موجـدتـه عليهن حتى عـاتبـه الله عز وجل .

ولعل المقصود مما تقدم ظاهر جلي ، فالمرأة هي المرأة ، والطبع غالب ، إلا أن المؤمنـة لا تلبث حتى تنـدم على إسـاءتها لزوجهـا وتسـألـه الصفح عنهـا ، وغيرها تتمادى في غيها ، وتستبد بها كبرياؤها ، وتجحد حق زوجها عليها .

« فمن نكث فإنما ينكث على نفسه » .

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين .

من فضائل عائشة رضي الله عنها

تقدم بيان بعض ما ثبت وصح من الروايات التي تؤكد أن طبع النساء وما جبلهن الله عليه من خصائص أمر ليس من اليسير عليهن الانفكاك عنه والتخلص منه ، ولو أن امرأة برئت من غلبة طباع أنوثتها لكانت نساء رسول الله ﷺ أحق بذلك وأسبق إليه ، غير أن الفارق بين فضليات النساء وسائرهن سرعة فيئهن إلى الحق واعترافهن بالخطأ واعتذارهن ممن له الحق عليهن .

وقد تبين ذلك بجلاء من الروايات الصحيحة التي أوردتها في الفصلين السابقين .

وأخشى أن يسبق إلى ظن من اطلع على تلك الروايات شيء من الاستهانة بعائشة وحفصة وسائر أمهات المؤمنين رضوان الله تعالى عليهن .

وإزالة لذلك الوهم أحببت هنا أن أذكر بعض ما صح من فضائل عائشة خاصة ، وذلك لتفردها في الكيد لصرف النبي ﷺ عن شرب العسل عند حفصة وهي مع هذا أفضل نساء النبي - بعد خديجة - وأحبهن إليه .

ياعائش .. جبريل يقرئك السلام

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت :

« قال لي رسول الله ﷺ يومًا » :

« ياعائش ، هذا جبريل يقرئك السلام » .

فقلت : « وعليه السلام ورحمة الله وبركاته » .

وأخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « ماأشكل علينا ـ أصحابنا رسول الله ﷺ ـ حديث قط، فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا » .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال :

« قيل : يارسول الله ، من أحب الناس إليك ؟» .

قال : « عائشة » .

قيل : « ومن الرجال ؟ » .

قال : « أبوها » (اهـ / الترمذي) .

ولما تكلم أحدهم في عائشة رضي الله عنها بما يسوء عند عمار بن ياسر قال له عمار :

« اغْرُبْ مقبوحًا منبوحًا ، تؤذي حبيبة رسول الله ﷺ ؟! » (اهـ / الترمذي) .

وساطة أم سلمة

وأخرج النسائي عن أم سلمة رضي الله عنها أن نساء النبي ﷺ كلمن أم سلمة أن تكلم النبي ﷺ أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة .

ويقلن : (أي نساء النبي) .

« إنا نحب الخير كما تحب عائشة » .

فكلمته أم سلمة ، فلم يجبها ، فلما دار عليها كلمته فلم يجبها فقلن : (أي نساء النبي) .

« ما رد عليك ؟ » .

قالت أم سلمة : « لم يجبني !! » .

قلن : «لا تدعيه حتى يرد عليك ، أو تنظري ما يقول » .

فلما دار عليها كلمته ، فقال :

« لا تؤذيني في عائشة ، فإنه لم ينزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن إلا في لحاف عائشة » (اهـ) .

قلت :

ما تقدم من فضائل عائشة رضي الله عنها يدل على مكانتها الرفيعة التي من الله بها عليها ، وهي مع ذلك الفضل لم تخل من غلبة هوى النفس أحيانًا وسر ذلك ما وصف به رسول الله ﷺ النساء من نزولهن عن درجة الرجال في العقل والدين .

فإذا كانت تلك عائشة وذلك المقام الرفيع لها فأين تذهب نساء هذا الزمان اللاتي يزعمن الكمال ؟!

والحمد لله على كل حال .

ونعوذ بالله من حال أهل النار ..

أم المؤمنين عائشة

تقدم بيان ما خص الله به النساء عامة من الانفعال الزائد والعاطفة المتدفقة وما يترتب على ذلك من العجلة والمسارعة إلى إتيان بعض المخالفات الشرعية أو العرفية .

ولقطع ألسنة المعارضات والمعارضين لتلك الحقيقة الكامنة في فطرة الأنثى ذكرت طرفًا مما صح عن هفوات أمهات المؤمنين اللاتي هن خير النساء قاطبة بعد آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ .

وقد ذكرت في المقال السابق بعض ما صح من فضائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، وذلك لأثبت أن ما صدر عنها بدافع الغيرة وسلطان الفطرة لا يقدح في مقامها الكريم عند الله ورسوله والمؤمنين .

واليوم أتم - إن شاء الله - إيراد بعض تلك الفضائل قبل مواصلة ذكر لوازم ما جبل الله عليه النساء من نقصان العقل والدين بالإضافة إلى الرجال .

نسب عائشة

قال الإمام شمس الدين الذهبي في مصنفه (سير أعلام النبلاء ٢ / ١٣٥) ما نصه : « بنت الإمام الصديق الأكبر ، خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، القرشية التيمية ، المكية ، النبوية ، أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ ، أفقه نساء الأمة على الإطلاق .

وأمها هي أم رومان بنت عامر بن عويمر ، بن عبد شمس ، بن عتاب بن أذينة الكنانية .

هاجر بعائشة أبواها ، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصِّدِّيقة خديجة بنت خويلد ، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرًا ، وقيل : بعامين .

ودخل بها في شوال سنة اثنتين ، منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر ، وهي ابنة تسع .

فروت عنه علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه . وعن أبيها ، وعن عمر وفاطمة ٢٢ (اهـ) .

وأخرج الحاكم في مستدركه (٤ / ١١) عن عائشة رضي الله عنها أنها جاءت هي وأبواها فقالا : « إنا نحب أن تدعو لعائشة بدعوة ونحن نسمع » .

فقال رسول الله ﷺ « اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر الصديق مغفرة واجبة ظاهرة وباطنة » .

تدلل عائشة

ولعل من المناسب هنا أن أذكر حديثًا يحمل أكثر من معنى جميل ، ويدل على عظيم رفق رسول الله ﷺ بنسائه ، ويدل من وجه آخر على دلال عائشة على النبي المعصوم ومغاضبتها له وهو الحق لترفعه عن الإيذاء ﷺ .

فقد أخرج الشيخان عن هشام أن رسول الله ﷺ قال لعائشة : **« إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبي »** .

قالت عائشة : « وكيف يارسول الله ؟ » .

قال : **« إذا كنت عني راضية قلت : لا ورب محمد ، وإذا كنت علي غضبي قلت : لا ورب إبراهيم »** .

قالت عائشة : « أجل والله ، ما أهجر إلا اسمك » (اهـ) .

فاعتبروا ياأولي الأبصار

قلت : وإنّي لأتساءل : من ذا الذي يجرؤ على الزعم أن رسول الله ﷺ قد يأتي من الأفعال أو الأقوال ما يجعل عائشة تغضب منه وهي محقة ؟!

اللهم إني أشهد أن الحق على لسان رسولك وقلبه ولكنه طبع النساء الذي جبلتهن عايه ، فاغفر للصالحات منهن ، وتجاوز برحمتك عن سيئاتنا وسيئاتهن ، اللهم آمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

لم يكمل من النساء إلا أربع

تقدم بيان بعض ما صح من فضائل السيدة عائشة رضي الله عنها لأثبت بذلك أن ما بدر منها لرسول الله ﷺ من ضرورات الغيرة الفطرية لا يضرها

ولا ينزلها عن مقامها الرفيع من حيث إنها زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة .

وغايتي مما ذكرت، من إساءة بعض نساء النبي إليه إثبات ما بدأته في الفصول المتقدمة من اختصاص كافة النساء بغلبة الانفعال والتسرع والاندفاع والنسيان وكفران نعمة الزوج في غمرة الغضب .

وقد عبر رسول الله ﷺ عن تلك الخصائص بقوله :

« ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم من إحداكن » .

وقد تقدم بيان المراد بالنقصان المذكور مفصلاً .

ولم يسلم من وصف النقصان من النساء إلا أربع ، هن : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت النبي ﷺ ، ومريم بنت عمرآن ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون .

وقد دل على ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : **« كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام »** .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ **« حسبك من نساء العالمين : مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون »** (الترمذي) .

نـوع من الفضـل

قلت : ومع حصر الكمـال في النسـاء الأربع المـذكورات ، إلا أن رسول الله ﷺ لم يترك عائشة دون الإشارة إليهـا بنوع من الفضل حين قـال : « **وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » .

وهـذا يـؤكـد حبـه لهـا الـذي اشتهر بين نسـائـه ولم يخفـه عنهن ، وذلـك لاستحقاق عائشة تلك المنزلة العلية بما جمعته من خصال نـادرة أهلتهـا لـذلـك المقام .

أما ما روي عنها من تجاوز للحق في بعض المواطن فذلك مما غفره الله لهـا لمسارعتها إلى التوبة والندم .

والمقصود إثبـات شمول طباع الأنوثة التي فيها اعوجاج لجميع النساء ما عـدا الأربع اللاتي كملهن الله بصفات الكمال.دون غيرهن بنص الحديث الصحيح المتقـدم .
فإذا تبين ذلك مما تقدم فعلى المرأة الصالحة أن تحذر الزلل ، وإذا غلبهـا الطبع فلتستغفر الله ولا تغفل .

وعلى الرجل كذلك أن يعذر المرأة إذا صدر عنها مـا توجبـه طبيعتهـا من عوج ويصبر عليها حتى تفيء إلى رشدها .

وهذا سر ما جـاء في الوصيـة بـالنسـاء فمن أحسن إليهن أحسن الله إليـه ، ومن أساء فإن الله عليه قدير .

وقد أخرج الشيخـان عن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسول الله ﷺ : « **استوصوا بـالنسـاء خيرًا ، فـإن المرأة خلقت من ضِلعٍ ، وإن أعـوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمـه كسرتـه ، وإن تركتـه لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** » (ا هـ) .

وآخر دعونا أنِ الحمد لله رب العالمين .

الكمال التام والكمال النسبي

تقدم ذكر حديث رسول الله ﷺ الذي استثنى فيه أربعًا من نساء العالم من النقصان الذي جبلت عليه كافة النساء ، ونصه : « **كمل من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** » (متفق عليه) .

وقوله ﷺ : « **كمل من الرجال كثير** » لا يعني أن أكثر الرجال قد حازوا الكمال ، وإنما المعنى أن من كمل من الرجال يفوق عدد من كمل من النساء ، وليس بوسعي أن أحصر عدد من كمل من الرجال كما حصر رسول الله ﷺ الكاملات في أربع ، وإنما بوسعي أن أقول :

إذا اتصف النساء عامة بنقصان العقل والدين ، فإن كثيرًا مما نرى من رجال الزمان بلا عقل ولا دين !!

فإذا كان الأمر كذلك فليس للرجال أن يعيروا النساء بما جبلن عليه من غلبة الانفعال المستلزم للنقصان وهم أشد منهن انتقاصًا لحقوق الله ، واجتراء على معصيته ، وكامل العقل والدين من الرجال هو الذي يحسن إلى المرأة ويراعي ضعفها ويصبر على عوجها ما أطاعت الله ورسوله . وفي الحديث الصحيح : « **خيركم خيركم لأهله (يعني لامرأته) وأنا خيركم لأهلي** » . فإذا استطاع الرجل أن يروض نفسه على ذلك النوع من الصبر وإدراك خصائص الأنوثة فإنه الكامل بحق ، وإذا كانت امرأته هي الصابرة على سوء خلقه ؛ فإنها أكمل منه بلا شك .

كمال الأنوثة

وينبغي أن نعلم أن الكمال الذي خص به رسول الله ﷺ أولئك النسوة الأربع اللاتي هن أفضل نساء العالمين ، إنما هو الكمال اللائق بالمرأة ، أو هو

الكمال الذي تتم به أنوثة الأنثى وتتنزه به عن نقائصها .

وإلا .. فلو فهمنا كمال المرأة على أنه مشاركة للرجل في خصائصه لكان ذلك نقصانًا في أنوثتها ، وهذا كما لو وصفنا الرجل بأنه يشبه المرأة في رقتها ونعومتها !!

إذا تبين هذا فإن المرأة الكاملة هي التي تجمع صفات كمال جنسها وتتنزه عن نقائصه ، ولم يجمع هذه الصفات على وجه الكمال من النساء إلا الأربع اللاتي سماهن رسول الله ﷺ ، أما من عداهن فعلى درجات متفاوتة ، ولكل مجتهدة نصيب . ولا يضيع الله عمل عامل من ذكر أو أنثى ، وهذا كما قال سبحانه :

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾ .(آل عمران : ١٩٥) .

أما قوله ﷺ : « **وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام** ».

فالمقصود من سوى النساء الأربع المذكورات ، وإذا قلنا بفضلها على كافة النساء دون استثناء ، فهذا يعني اختصاص عائشة بنوع من الفضل ليس في غيرها ، ولعله ما وجده رسول الله ﷺ في عشرتها من هناء المعيشة .

والثريد هو الخبز المسقي بمرق اللحم ، وهو ما يسميه العامة اليوم « الفتة » وهو أطيب الطعام عند العرب وهو كذلك بحق .

وهذه الأفضلية الخاصة لا تستلزم الأفضلية المطلقة التي انحصرت في مريم وآسية وخديجة وفاطمة رضي الله عن جميعهن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حديث بيعة النساء

تقدم أن ما به كال المرأة ليس هو بعينه كال ما بـه الرجل رجلاً ، فـالمرأة تكمـل بكمـال أنـوثتهـا ، وتنقص إذا أشبهت الرجـال وزاحمتهم في الخصـائص والأعمال .

وتبين أن الكمـال نسبي ، ولم يجمـع أركانـه من النسـاء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ .

أما من عداهن من النساء فلهن ما يجهدن في تحصيلـه من الفضـائل ، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

ولما نزل قوله تعالى في سورة المتحنة :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

كان مما بايع عليه رسول الله ﷺ جماعـة النسـاء ألا ينحن على ميت ولا يندبنه كا هو شأن النسـاء ، غير أن أكثرهن لم يفين بـالبيعـة وقـد عقـدنهـا مع رسول الله ﷺ مواجهة ، وهذا يؤكد ما سبق بيانـه من اعوجـاج طبع النسـاء عامة على تفاوت بينهن في الدرجة والنوع .

ويدل لما ذكرت من عدم وفاء أكثر النساء الصحـابيـات بمقتضيـات البيعـة فيا يتعلق بالنواح ما أخرجه البخاري ومسلم عن أم عطية الأنصارية رضي الله عنها قالت : « أخذ علينا رسول الله ﷺ مع البيعـة ألا ننوح ، فمـا وفت منـا إلا خمس : أم سليم ، وأم العلاء وابنة أبي سبرة أمرأة معاذ ، وامرأتان » .

وفي رواية أخرى قالت أم عطية : «لما نزلت هـذه الآيـة : ﴿ **يبـايعنـك**

على ألا يشركن بالله شيئًا .. ﴾ ﴿ **ولا يعصينك في معروف** ﴾ كان منه النياحة ، فقلت : « يارسول الله ، إلا آل فلان فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية ، فلا بد لي أن أسعدهم » .

فقال رسول الله ﷺ : « إلا آل فلان » (يعني لك أن تسعديهم كما أسعدوك في الجاهلية) اهـ .

المراد بالإسعاد

قلت : والمراد بالإسعاد هنا النياحة مع النائحات من أهل الميت مشاركة لهن في أحزانهن ، فرأت أم عطية ـ راوية الحديث ـ أنَّ هؤلاء اللاتي أسعدنها في الجاهلية وأسهمن معها في النياحة لهن عليها حق الوفاء ، وإن أذن رسول الله ﷺ لها ولغيرها أن يوفين بدين النياحة يدل على مبالغته في التلطف بالنساء ومراعاته ضعفهن ونقص عقولهن ، وخشي إن لم يأذن لهن أن يعصينه مواجهة ، وإذا عصينه مواجهة وعنادًا حل عليهن غضب الله والعياذ بالله ، فكان إذنه لهن رحمة بهن وشفقة عليهن .

وفي رواية أخرى قالت أم عطية : « بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿ **ألا يشركن بالله شيئًا** ﴾ ونهانا عن النياحة ، فقبضت امرأة منا يدها فقالت : « فلانة أسعدتني ، فأنا أريد أن أجزيها » فما قال لها النبي ﷺ شيئًا ، فانطلقت ، ثم رجعت ، فبايعها » اهـ .

أدب النبوة

قلت : وفي هذا تعليم لنا بوجوب التغاضي عن الصغائر من النساء ، وعدم تكليفهن ما لا طاقة لهن به .

والحمد لله وكفى .

وسلام على عباده الذين اصطفى .

لن يفلح قوم وَلَّوْا أمرهم امرأة

في سياق بياني للمراد بحديث النقصان رأيت أن أستشهد بأنماط من السلوك النابع عن تلك الخصائص التي جبل الله عليها المرأة ، ورأيت - زيادة في الحجة - أن تكون تلك الأنماط من السلوك صادرة عن فضليات النساء اللاتى لا يرقى الشك إلى سمو أخلاقهن ورفعة شأنهن حتى أخرس ألسنة مدعيات الكمال من متحضرات هذا الزمان ، خاصة أولئك النسوة اللاتي يسودن بياض الصحف بكل تافه تنبو عنه الأذواق السليمة !!

وويل لنا حين نقدم المرأة للتوجيه والإرشاد ، ونرفعها إلى مقام القيادة والريادة ، ولا نطيع رسول الله ﷺ إذ نهانا عن ذلك بقوله : « **لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة** » (البخاري) .

ولقد رأيت إحدى الكاتبات تهلل وتُكَبِّرُ وتكاد ترقص فرحًا لأن أسماء بنت يزيد الأشهلية شكت إلى رسول الله ﷺ فضل الرجال عليهن بالجهاد والنفقة والجمع والجماعات ونحو ذلك مما لم يوجبه الله عليهن ، وأخبرته أنها وافدة النساء إليه (أي نائبة عنهن) .

فقال لها رسول الله ﷺ :

« **افهمي أيتها المرأة ، وأعلِمي من خلفك من النساء ، أنّ حسن تَبَعُّلِ المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله** » (ا هـ) (ابن عبد البر) .

وقليل منكن من يفعله

قلت : الحديث صحيح سندًا ومتنًا والحمد لله ، غير أن طبيعة المرأة العوجاء الكامنة في الكاتبة جعلتها تعمى عن جواب رسول الله ﷺ الذي لا تطيقة أكثر النساء ، والذي يوجب على المرأة الإقرار بمقام القوامة عليها ،

والاعتراف بلزوم طاعتها لزوجها وطلبها رضاه ، كل هذا تركته الكاتبة ولم تشر إليه ، واستمسكت بقول المرأة :

« أنا وافدة النساء إليك » .

فهللت وكبرت وقالت :

ياله من انتصار للمرأة حين اعترف رسول الله ﷺ بالجمعيات النسائية وأعطى المرأة حق النيابة والانتخاب ، ورضي أن تدخل عليه مندوبتهن لتأخذ منه تصريحًا صحفيًا خطيرًا !!

فواعجباه !!

واعجباه ممن عميت عما ينجيها من حديث رسول الله ﷺ ، وتمسكت بفهم أعوج لعبارة مستقيمة تدل على حرص النساء الصحابيات ـ وليس الصحفيات ـ على ابتغاء رضوان الله تعالى واللحاق بالرجال في اكتساب الأجر والمثوبة .

والفرق كبير بين من تبحث في طيات الحديث عما ينجيها ، وبين من تلتقط منه ما يُرْدِيها !!

وفي إحدي روايات حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ :

« أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافًا بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله » .

وإن العبارة الأخيرة تؤكد عدم إطاقة أكثر النساء موافقة أزواجهن في رغباتهم المشروعة وعجزهن عن مجاهدة أهوائهن وتقويم اعوجاجهن حتى يستقمن على الطريقة كما أمر الله !!

وصدق رسول الله ﷺ :

« وقليل منكن من يفعله » .

وهذا في حق الصحابيات الجليلات الفاضلات ، فما الظن بغيرهن من نساء هذا الزمان المتعاليات !!

فالحمد لله على كل حال ، ونعوذ بالله من حال أهل النار .

رأيت - إتماماً للفائدة - إلحاق هذه الردود والفتاوى الشرعية بهذه الرسالة

لماذا تظلمون المرأة ؟!

رسالة من فتاة عامرة بالسخط والتمرد والملام ، تقول فيها صاحبتها :

لدي تساؤلات أنني أجد في القرآن والسنة اتهامات للنساء يضيق لها صدري ، وأحس أنني مجرد جارية خلقت لآدم لتكون سكنًا له ، وطباخة وغسالة !!

إنني أشعر بالكراهية رغمًا عني ، فلم يبق لي شيء أفخر به ، حتى أنوثتي ، فأنا المرأة ناقصة العقل والدين ، وأنا حواء التي أخرجت آدم من الجنة ، وأنا الزوجة الذليلة لزوجها ، وعليها - ليرضى عنها - أن تمسح غبار قدميه بخديها !!

فلماذا ؟! لماذا ؟!

﴿ **الرجال قوامون على النساء** ﴾ .. لماذا ؟!

﴿ **إن كيدهن عظيم** ﴾ لماذا ؟! ﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** ﴾ لماذا ؟!

لماذا أغفل التاريخ مساوىء الرجال وأبرز قبائح النساء ؟!

لماذا كانت النساء أكثر أهل النار كما قال النبي ﷺ .

أنا لست قادرة على أن أكون تابعة للرجل ، أريد أن أكون « أنا » وليس « هو » !! .

فلأكن ظالمة لئيمة لا أمان لي .. لا أبالي بذلك في سبيل أن أفعل ما أشاء

أنا لا ما يشاء الرجل ..

أنـا لا أتجنى على آدم ، فكثير من الرجـال يهتمـون بـزوجـاتهم وبنـاتهم ويشعرونهن بإنسانيتهن ..

إنني رغم هـذا مسلمـة ، أؤدي الفرائض والسنـن ، وأترفـع عن الـوقـوع في المعاصي .. وأخيرًا أقول :

« أنا آسفة إذا كان في رسالتي أي خطأ » .

وأنا آسف .. لأنك اقترفت أكبر خطأ

ـ قلت مستعينًا بالله تعالى :

أولاً : لا شـأن لي بـاعتـذارك وأسفـك على مـا فرط منـك ـ تصريحًـا لا تلميحًا ـ في حق الله ورسوله والقرآن الحكيم .. **ثـانيًا :** إذا كنت صـادقة في

ثانيًا : إذا كنت صادقة في أسفك على ما بدر منك فإن الله هو الـذي يعلم السر وأخفى ، ويعلم الصادق من الكاذب .

﴿ وسيرى الله عملكم ورسـولـه ، ثم تردون إلى عـالم الغيب والشهـادة فينبئكم بمـا كنتم تعملـون ﴾ (التـوبـة : ٩٤)

ثـالثًا : أنت مسكينـة يـابنيتي ، وتستحقين الشفقـة ممن حـولـك ، لعلهم ينتزعون من قلبك سم الكبرياء على الله ، والتمرد على أحكامه ، والشك في آياتـه..

لو كان سؤالاً لقلت : عسى

رابعًا : لو كتبت رسالتك سائلة عما غمض عليك فهمه من آيات الله وسنـة رسوله ﷺ بأسلوب مهذب لمـا لامـك أحـد ، ولكن .. بم تعتـذرين عن ردك الصريح ودفعك لنصوص القرآن التي لا يَشُكُّ فيها إلا من تعلمين ؟!

قد يكون النقص كمالاً

خامسًا : إذا كان في النساء نقص في عقولهن ودينهن فذلك لشدة انفعالهن ، وحدة عاطفتهن ، وغلبة رغباتهن ، وهذه خصائص جبلية فطرية لابد منها لكمال أنوثة الأنثى ، واستعدادها لأداء ما خلقت من أجله ، واحتمالها لمشقات الحمل والرضاعة ، واستعذابها لعذاب العناية بأطفالها والسهر عليهم .

المرأة قطعة من الرجل

سادسًا : إذا فهمت ما جاء في الفقرة الخامسة فاعلمي أن حكمة الله اقتضت خلق المرأة من الرجل ليحبها كما يحب نفسه التي بين جنبيه ، لأنها قطعة منه ، وهذا كما تحب الأم ولدها لأنه قطعة منها ، ومن تمام الحكمة الإلهية اختصاص المرأة بقوة العاطفة وغلبة الانفعال ، وهذا الاختصاص وإن استلزم نقصان العقل والدين ، إلا أنه ضروري لتكمل به ما تكون به المرأة أمًّا حانية ، وزوجة معينة سامية ، تحب العطاء ، وتستعذب التضحية والفداء ، وهذا في ميزان الحق هو كمال الحق ، لأنه من تدبير العليم الخبير بأسرار الخلق ..

ولعلك لا تعلمين يا ابنتي أن الرجل لا يعجبه من زوجته أكثر من أن يراها طفلة في عقلها ، عاشقة من قلبها ، حانية بأطفالها ، وكذلك لا تتم سعادة المرأة حتى تجد في زوجها فخرها وكمالها ، وأبًا عطوفًا راعيًا لأطفاله وأطفالها ..

مثلها ، بل هي تحلم أبدًا أن يكون رجلها فوقها في العقل والحكمة والاتزان ، وسداد الرأي وقوة العزيمة واليقين والإيمان ، فمثل هذا الرجل هو الذي تطيعه المرأة طواعية ، ولا تجد في الخضوع له غضاضة أو كراهية ، ولا تأنف أن تكون له جارية أو كالجارية ، غير أن الرجل الكريم يأبي أن يشعر امرأته بأنها دونه ، كما يكون سعيدًا حين يقدمها ـ في قضاء حاجاتها ـ على نفسه ..

المراد بالنقصان

سابعًا : « العقل » لا يعني مجرد «الذكاء » كما أن « الدين » لا يعني مجرد « أداء الواجبات وترك المحرمات » بل العقل هو «الاستمساك بالحق عند غلبة الأهواء ، وسطوع نور البصيرة عند اشتباه الآراء » .

هذا هو العقل الذي اكتمل في كثير من الرجال ونقص ـ لعلة الأنوثة ـ في كثير من النساء ..

أما الدين ، فإن الله يعبد بالقلب أكثر مما يعبد بالجوارح ، ويتقرب إلى الله المتقربون بعلومهم أعظم مما يتقربون إليه بأعمالهم ، ولما اختص الله الرجال بكمال العقل على المعنى الذي بينته ، حازوا ـ بإذن الله ـ على الأداة التي تعينهم على كمال الدين وصدق اليقين ..

وهذا لا يعم الرجال ، كما لا يخرج من دائرة القرب النساء ، بل كل نفس بما كسبت رهينة ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ..

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (النساء : ٣٢) .

لا بد من قيم

ثامنًا : ﴿ الرجال قوّامون على النساء ﴾ آية من كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، ولست أدري ما الذي يغيظك من سلطان الرجل على بيته ، وأنت تستسلمين لسلطان رئيسك في الشركة التي تعملين فيها ، وتستمرئين زجره وأمره ونهيه ، فلماذا كانت قوامة الزوج ممقوتة وقوامة الرئيس الأجنبي محبوبة ؟! .

يابنتي .. لا بد في كل بيت من رأس يدبره وتكون له الكلمة العليا ،

فإن لم يكن الرأس هو الرجل ، فكوني أنت ، ثم .. وافيني بالنتيجة !!

أكثر أهل النار .. لماذا ؟

تاسعًا : إذا أحزنك أن يكون النساء أكثر أهل النار ، فلأن فيهن مثلك في سخطها على ربها ، وعدم رضاها بأنوثتها ، وتكبرها واستعلائها عن طاعة زوجها !!

يابنيتي المسكينة ..

إذا كان أكثر أهل النار النساء ، فاحرصي أن تكوني من أهل الجنة التي لا يدخلها السفهاء ..

وإذا لم يسعدك أن يتزوج الرجال مثنى وثلاث ورباع من النساء ، فألزميهن أن يأبين القبول بالأكْفَاءِ ، ممن أقدرهم الله على حماية أكثر من واحدة من النساء ، حين يقل الرجال ولا تجد من ليس لها زوج إلا الضياع والعناء !!

إذا لم يعجبك أن تكوني من ناقصات العقل والدين ، فاحرصي على كمالهما لعلك ، بإذن الله ـ تفلحين ، وأول مدارج الفلاح أن تتوبي عما جاء في رسالتك من استهزاء صُرَاح قد يؤدي بك إلى كفر بَواح ..

﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (سورة النور : ٣١) .

إيمان قبل العمل

عاشرًا : تقولين إنك مسلمة تؤدين الفرائض والسنن ، وتجتنبين المعاصي، وهذا حسن ، ولكن ينبغي أن تعلمي أن الإيمان شرط لقبول العمل الصالح ، وسلامة القلب من العقائد الزائفة أساس الفلاح في الدنيا والنجاة في الآخرة ،

وما أيسر أن يضل الشيطان العابدين لله بغير علم ، ويوسوس لهم بما يؤدي بهم إلى الكفر أو الزندقة ، ولهذا المعنى قال رسول الله ﷺ :

« فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما :

« فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » .

فاتقي الله يابنيتي وأبصري ، وأسأل الله أن يشرح صدرك للإيمان حتى تكوني ممن عصمهم الله من الزيغ والضلال وزينهم بزينة الهدى والإتقان .

من أسرار الخلق :
لماذا لم يخلق الله
علامة في الرجل تكشف
للناس أنه عفيف ؟

كتبت إحداهن تقول :

أحلم بالإجابة على هذا السؤال :

لماذا لم يخلق الله علامة في الرجل ، تكشف للناس أنه رجل عاهر ، أو أنه سمح لنفسه أن يفرط بشرفه لامرأة ؟!

قلت :

بالتجاوز عن تجاوز الكاتبة حدود الأدب في صياغة السؤال ، إلا أنني رأيت فيه أهمية دعتني إلى إجابته في هذا المقال ، فأقول والله المستعان :

لقد امتن الله علينا بأن خلق لنا من أنفسنا أزواجًا لنسكن إليها وجعل بيننا مودة ورحمة ، فقال تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِـهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
(الروم ٠ ٢٠)

وفي ختامه سبحانه الآية بقوله :

﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** ﴾ في هذه العبارة المعجزة ، تصريح بأن في خلق الأنثى من الذَّكَرِ آيات كثيرة تدل على جلال الخالق وعظيم قدرته ، كما تدل على فضله ورحمته وبالغ حكمته .

ولكن .. ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ .

فما في الخلق من حِكَمٍ بالغة وأسرار ، لا يستطيع أن يكشف عنها الأستار ، إلا من أطال فيها التأمل والتفكير في الليل والنهار .

ومن جملة تلك الأسرار الإلهيّة العلية ، أنه سبحانه خص الأنثى وحدها بتلك الحصانة الخفية ، وجعلها برهانًا على الطهر والعُذْرِيّة ، لأنها المؤتمنة وحدها على ما يحمل بطنها من الذرية ، وتلحقها لعنة الله إن خانت زوجها في فراش الزوجية ، وحملت من غيره ما تنسبه إليه بمقتضى الأحكام الشرعية .

إن الأنثى وعاء الحياة يابنيتي ، ومن كمال الوعاء الذي يحمل أطيب الثمرات أن يكون مبرءًا من كل عيب ، ومنزهـًا عن كل ريب ، فكان من مقتضى هذا الكمال الأنثوي ، أن يُختم بخاتم ربّاني ، ليكون دليلاً على طهره وبراءته ، وبرهانًا على سمو مكانته وعفته .

وفي غشاء البكارة هدف عزيز ، وسر وجيز ، ففيه رمز وإشارة ، إلى أن الخاتم الذي جعله الله علامة للطهارة ، وحصن به الأنوثة حماية لها من التبذل والحقارة ، هذا الخاتم الذي صنعه الله ، لا ينبغي أن يفض إلا بإذن الله ،

ولا يستحل إلا بكلمة الله ، بالعقد على المرأة بما أمر الله ، وجاء به شرعه وهداه .

وقد جاء في النصوص الشرعية ، ما يؤكد تلك الحقيقة الجلية ، ومن ذلك ، قوله ﷺ في حجة الوداع .

« فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله » رواه مسلم .

وقد جاء في الحديث الصحيح قصة الثلاثة الذين أُغْلِقَ عليهم الغار ، فتقربوا إلى الله بذكر صالح أعمالهم ، فكان مما دعا به أحدهم ، أنه أحب ابنة عم له ، فامتنعت عليه ، فلما كان عامُ مجاعة ، جاءته تطلب رزقًا ، فاشترط عليها أن تسلمه نفسها ، فرضيت ، حتى إذا كاد أن يتمكن منها قالت :

« اتق الله ، ولا تفض الخاتم إلا بحقه » .

أي : بعقد النكاح .

فقال الرجل :

فتركتها وأنا أرغب ما أكون فيها ، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك خوفًا منك ، وابتغاء رضوانك ، اللهم ففرج عنا ما نحن فيه » .

ولما انتهى الثلاثة من دعائهم ، أزاح الله الصخرة عن فم الغار ، ونجوا بفضل قبول الله لصالح أعمالهم .

فإن قلتِ :

هل يعني هذا أن مسؤولية الرجل دون مسؤولية المرأة في باب الزنى ؟

أقول :

حاشا وكلا ، فإن الشارع الحكيم قد سَوّى في العقوبة بين الرجل والمرأة في

الجريمة ، فقال سبحانه في مطلع سورة النور :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النور : ١ ، ٢)

وقال تعالى :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة المائدة : ٣٨) .

وكذلك جعل الله عقوبة الرجم حدًا لمن سبق له الزواج من الرجال أو النساء على السواء فلا محاباة في حد من حدود الله للرجل على حساب المرأة والكل عند الله سواء .

وهذا التساوي في العقوبات المذكورة إنما هو في الدنيا ، أما في الآخرة ، فالأمر كله لله ، والحساب بحسب البواعث والنيات ، ومايتبع ذلك من آثار سيئات ، أو حسنات ماحيات ، أو مصائب مكفرات ، أو توبة لله تردع صاحبها عن الزلات .

وبهذا المقياس ، نستطيع أن نتبين سر اختصاص الأنثى بخاتم العفة الرباني، وذلك لأنها ما خلقت إلا لتكون لواحد ، ولا يصلح البتة أن تكون لأكثر من واحد ، إلا أن تنفصم عقدتها ، وتنقضي عدتها .

وهذا بخلاف الرجل ، فإنه خلق صالحًا لأكثر من واحدة في الوقت الواحد ، وجُبل على الرغبة في ذلك حتى لو لم يحقق رغبته ، وفي هذا حماية للجنس الضعيف من الضياع في أزمان الحروب والفتن ، كما حدث في ألمانيا الغربية ، بعد الحرب العالمية ، ورأينا النساء هناك يطالبن بإباحة تعدد

الزوجات ، اختيارًا منهن لأخف المصيبات .

وقد جاء في الحديث الصحيح أن من علامات الساعة المؤذنة بقرب قيامها ، كثرة النساء ، وقلة الرجال ، حتى يحيط بالرجل الواحد أربعون امرأة يلذن به (أي : يحتمين به) .

ولما كان هذا حال كل من الرجل والمرأة في الطبيعة والجِبِلَّةِ ، كان من الحكمة الإلهية أن يجعل فيمن خلقت لواحد ، علامة تكون لعفتها شاهد ، فتحرص أكثر من الرجل على اجتناب كل خؤون فاسد .

وإن الله سبحانه حين قيد المرأة بهذا القيد ، فإنه قد جعله زينةً لها ووقاية من سهولة الصيد ، وهذا بالإضافة إلى ما حباها به من نعمة الخفر والحياء ، الذي يجعلها تترفع عن فعل ما يأتي به السفهاء ، فمن لم يستح ، فليفعل ما شاء كما شاء ، فليس له من رادع بعد أن فقد الحياء ،

وإن أخبث ما تفتقت عنه أفكار شياطين الحضارة المسمومة ، أنها نزعت من النساء فضيلة الحياء ، حين صورته نوعًا من الغباء ، وقد استعان الأبالسة بوسائل الإعلام الواسعة الانتشار ، لزرع بذور الفساد في نفوس الأطهار الأخيار ، وما نراه من تفشي سم الحضارة القاتل ، وغلبة السلوك المنحدر السافل ، كل ذلك من ثمار تلك الأساليب الشيطانية ، التي تبنتها وروَّجَتْ لها ـ للأسف ـ كثير من وسائلنا الإعلامية ، ولولا هذا ، لما رأينا كثيرًا من النساء ، يتسابقن إلى إظهار مفاتن أنوثتهن ، ويتباهين بافتتان الرجال بهن .

واعلمي يابنيتي المستنكرة تميز الرجال عن النساء ، بخلوهم عن علامة تفضحهم عند اللقاء ، اعلمي أن هذا لا يعني أن الله يحب أن يستر على الرجال وحدهم ، ويكشف ستر النساء لهم ، تعالى الله أرحم الراحمين ، عن ظن المستنكرين الجاهلين ، بل الحق أن الله قد وهب المرأة ثلاثة حصون منيعة ،

عليها أن تتنازل عنها إن أتت جريمة الزنى الشنيعة .

أما الحصن الأول : .

فحياء الأنوثة الفطري الجميل .

وأما الحصن الثاني : .

فخدر أحاسيسها الجنسية ما دامت عذراء نقية .

وأما الحصن الثالث : .

فهو غشاء البكارة الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا لا ينفك بروح الأنثى وعاطفتها السامية ، ورغبتها الأصيلة في ألا يمتلكها إلا رجل واحد تطمئن إلى كنفه ، وتسكن إلى حمايته وعطفه .

فإن تجاوزت الأنثى تلك السدود ، وعبرت هاتيك الحدود ، فلا أراها إلا قد أساءت حين تمردت وحطمت القيود .

وبعد هذا ..

فإن ربك يابنيتي حليم عفو سِتِّير ..

فآمني بحكمته .

واستسلمي لعزته ..

واستمسكي بِشْرَعِتِهْ ..

فلعله ـ بكرمه ـ أن يمن علينا بواسع رحمته .. ويدخلنا وإياك عالي جنته .

صورة حية لمأساة لا تزال حية

رسالة سوداء مظلمة ، تحت كل كلمة منها جراح مؤلمة ، قد بلغ اليأس بصاحبتها مداه ، ووصل الأسى المضني أقصاه ، وانحدر الإيمان إلى أدناه ..

لن ألتمس العذر لها لما سَطَّرَتْهُ يدها ، ولن أهون من خطر ما جنته في أمسها ويومها أو ستجنيه ـ إن لم ينجيها الله ـ في غدها .. ولكني سأضع صورة حية لمأساة لا تزال حية ، والله وحده المسؤول أنْ ينجيها ومثيلاتها من الضياع والتشرد ..

سأترك صاحبة الرسالة تحكي قصتها بقلمها كلمة كلمة ، وان المعاناة تعطي الكلام صدقًا في المعاني وقوة في التأثير ، وسحرًا في البيان ، باستثناء كلمات تفوح منها رائحة الكفر بالله تعالى :

تقول صاحبة المأساة :

إن واقعنا .. نحن الفلسطينيين ـ زاد من كآبتي ، وأضعف إيماني بالله ، وأبعدني عنه ..

إن مآسي التاريخ كله فقدت رونقها أمام ما أصابنا في العصر الحديث ..

أتساءل باستمرار : ماذا فعلنا حتى يفعل الله بنا ما فعل ؟! لقد أصبح عندي ردة فعل عنيفة أمام هذه المآسي ، فأصبحت أستغل كل فرصة للفرح وإشباع الرغبة وكأن الدنيا ستنتهي غدًا ، فَلأُجرب كل شيء قبل رحيلي .. تبرجت ، وقطعت الصلاة ، وأغريت الشباب وأوقعتهم في حبائلي لأنتقم من الفضيلة التي حافظت عليها معظم حياتي ، شبابنا يلزمه الفتنة والإغراء حتى نحظى بإعجابه .. واليوم .. وبعد أن بلغت الثلاثين من عمري فشلت في رغبتي الفطرية في الحصول على زوج أجد عنده السكينة والطمأنينة ..

أنا إنسانة أحتاج إلى رجل ، إلى حنان ، إلى بيت واولاد وحب ..

عندي طاقة رهيبة من العاطفة الصادقة والرغبة الجامحة ، أين أفرغها ؟!
اعذر أسلوبي الصريح ، فهذا ما أملك ، وإلا لن أستطيع أن أوصل إليك
ما أعاني ..

إن الشاب الوحيد الذي أحبني وأحببته بصدق وعمق استشهد في لبنان
عام ١٩٨٠ ..

فقدت الأمل بالحب والحياة ، وصمت عنه سنتين ورحلت بعيدًا لأنسى ،
فأحببت شابًا كان ينوي خطبتي ، فخطفته إحدى صديقاتي ..

أحاسيس عديدة تنتابني .. شعور باللذة والألم والمتعة وعذاب الضمير
(والقرف) من كل لذة حرام ذقتها ..

لست أدري إلى أين سأصل ؟

لقد اكتشفت شيئًا مهمًا وهو أن الجنس ليس ذلك الشيء اللامع الوهاج
الذي كنا نتوقعه ونحلم به .. لست أدري لماذا كتبت لك ، ربما لأنني دومًا
أقرأ صفحات الضياء .. أرأيت ؟ .. مازال عندي إيمان ، وصدقني إنني أقرأ
القرآن دائما . واستغفر الله ، ولكنني أضعف أمام الإغراءات ، المهم أنني ارتحت
لما كتبت لك وعبرت « صراحة » تامة عن نفسي .

وخلق الإنسان ضعيفًا ..

قلت مستعينًا بالله تعالى :

أولاً : هذه الرسالة (التي اختصرتها هنا) من الرسائل النادرة التي أحتفظ
بها لتكون وثائق مهمة لمعرفة أغوار النفس الإنسانية والكشف عن أسرارها
الخفية .

وكم أود أن يطلع عليها كل إنسان يحرص على إدراك الحق دون وكس

ولا شطط ، وليعلم الناس جميعًا أنهم ضعفاء لا يستمسكون أمام عذب الحياة أو عذابها ..

وصدق الله العظيم ، خالق النفس الحكيم :

﴿ **إن الإنسان خلق هلوعًا** ﴾ (شديد الخوف) ﴿ **إذا مسه الشر جزوعًا** ﴾ (لا يصبر) ﴿ **وإذا مسه الخير منوعًا** ﴾ (بخيلاً) ﴿ **إلا المصلين** ﴾ (لأنهم على صلة دائمة بالله يستمدون منه القوة) ﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾ (ولا يقطعونها كما فعلت صاحبة الرسالة) (المعارج : ١٩ - ٢٣)

ثانيًا : إنني آسى لك ياأختاه كما آسى لكل إنسان مسه شيء من البلاء فافتتن ولم يستمسك ، وهذا الضعف أصيل في النفس البشرية (كما هو واضح في الآيات السابقة) ولا منجاة منه إلا بدوام الاستغاثة بالله وتوثيق الصلة به والمحبة له سبحانه .

﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ (الأعراف : ٢٠١) .

﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَافَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران : ١٣٥) .

ثالثًا : إن نكبة أمتنا نكبة عظيمة شديدة الإيلام ، ولكن هذا لا ينبغي أن يكون سببًا لانهيارك النفسي وإلقائك اللوم على أرحم الراحمين بعباده ، ولو كشف الله لنا عن أسرار أفعاله في خلقه ، وحكمته في قضائه وقدره ، وعدله في مثوبته وعقوبته .. لو حدث هذا - ولن يحدث إلا في الآخرة - لعلمنا يقينًا أن الله كان أرحم بنا من الأم بولدها حين يخطىء فتعاقبه ..

واقرئي إن شئت قوله تعالى : ﴿ إن الله لاَ يَظْلِمُ النَّاس شَيْئًا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (سورة يونس : ٤٤) ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (سورة الشورى : ٣٠) ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَاتَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (سورة فاطر : ٤٥) .

رابعًا : مصابنا ـ مع فداحته ـ ليس أسوأ من مصائب الأمة الإسلامية في منتصف القرن السابع للهجرة حين اجتاح المغول المتوحشون بلاد شرق آسيا ، وأسقطوا الخلافة الإسلامية واستباحوا بغداد أربعين يومًا قتلوا فيها ثمانمائة ألف من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال ، وكذلك حين اجتاح الصليبيون بلاد الشام وما حولها وذبحوا جميع من في بيت المقدس بعد أن أمنوهم على أنفسهم ونزعوا سلاحهم ، واستمر احتلال الصليبيين للبلاد المقدسة قرنين من الزمان ، ولم تبدأ انتصارات المسلمين عليهم إلا عندما ظهر قادة مسلمون رفعوا راية الجهاد المقدس وساروا بأمتنا من نصر إلى نصر حتى طهروا الأرض المقدسة من آخر فلول الصليبيين .

وبعدُ : فياأختاه المسلمة .. إذا كانت رسالتك مليئة بالحزن والأسى واليأس حتى انزلقت إلى مهاوي الرذيلة ، فلا أزال أجد في قلبك بصيصًا من نور الإيمان ، وعدم الاستسلام لغواية الشيطان ، فاستعيني بالله واصبري ولا تيأسي من رحمة الله .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّي ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠) .

والسلام عليك ،،،

وجه المرأة وكفاها

قلت مستعينًا بالله تعالى :

أولاً : الراجح من أقوال العلماء أن وجه المرأة وكفيها مما يباح لها إظهارهما لغير المحارم ، ومما يرجح هذا المذهب كراهة تغطية المرأة لوجهها وكفيها في حال الإحرام ، إذ لا يتصور زوال الوصف المحرم عند نية الإحرام للحج أو العمرة وثبوته فيما عدا ذلك .

أما القول بحرمة إظهار ما عدا الوجه والكفين إلا للزوج فقط فهذا مما لم يرد به شرع أبدًا ، ولا يتفق مع بدَائِه العقول ، اذ كيف يوجب الشرع على النساء ستر شعورهن في حضرة أبنائهن أو آبائهن ؟!

طهارة العطور المذابة في الكحول

ثانيًا : القول بنجاسة العطور الذائبة في الكحول قول مرجوح ، وليس هناك نص صريح في الدلالة على نجاسة المسكرات ، بل الأدلة متضافرة على تحريم شربها ، والتحريم لا يستلزم النجاسة ، وهذا جلي في قوله تعالى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (المائدة : ٩٠) .

فوصفه سبحانه الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بأنها « رجس من عمل الشيطان » لا يدل على نجاستها نجاسة حسية بحيث يجب عليك أن تغسل يدك إذا لمست بها الصنم مثلاً ، وكذلك وصف سبحانه المشركين بالنجاسة فقال :

﴿ **إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا** ﴾ (التوبة : ٢٨) .

ولم يقل أحد بوجوب التطهر على من صافح مشركًا ، لأنَّ النجاسة هنا

معنوية لا حسية حقيقية .

وعليه يجوز استعمال الكحول وحده للتعقيم ، أو مذابًا به مواد عطرة للتطيب دون كراهة ، وذلك لعدم الدليل المحرّم من المنقول أو المعقول .

جمال الجلباب لا يحرمه

ثالثًا : لا حرج عليك في لبس جلبابك الجميل مادام ساترًا .

أدب الإسلام

رابعًا : لا حرج عليك في محادثة ابن عمك فيما يفيد ، كذلك الطلبة في الجامعة في حدود الضرورة ، ما دمت ملتزمة بأدب الإسلام .

من حقائق الإيمان

- هل الإكثار من الطاعات الظاهرة دليل على صدق الإيمان ورضوان الرحمن ؟

- وما علة الإحساس بالرهبة والخشوع لله رغم الحرص على أداء الواجبات واجتناب المحرمات ؟

- وكيف السبيل إلى تذوق حلاوة الإيمان والشعور بالسكينة والاطمئنان ؟

تساؤلات كثيرة عند كثير من المسلمين والمسلمات ، وقد سبق أن أجبت عنها في الفتاوى إجابات موجزة ، لم ترو غليل السائلين ، ولم تشف عليلهم ، فأحببت بسطها هنا زيادة في البيان والله المستعان .

الظواهر والبواطن

لنستطيع فهم حقيقة الإيمان ينبغي أن نفهم الحقائق التالية :

أولاً : النطق بالشهادتين ، وأداء الواجبات ، واجتناب المحرمات ، كل هذا من دلائل الإيمان ، ومظاهر الإسلام ، غير أن ثواب ذلك كله موقوف على

مدى قصد المؤمن بها رضوان الله تعالى ، والتقرب إليه ، وإلا كان عمله قليل الجدوى ، وهذا هو المراد بقوله ﷺ « **رب قائم حظه من صلاته السهر** » (رواه الإمام أحمد بسند حسن)

ثانيًا : بقدر ما في العمل من إخلاص لله تعالى ورغبة في مثوبته يكون تأثيره- بإذن الله- في تصفية القلب، وبقدر صفاء يحس المؤمِن بحلاوة الإيمان.

ثالثًا : قد يكون القلب مشحونًا برذائل الأخلاق ورديء الصفات ، مع أن صاحبه مؤد للواجبات تارك للمحرمات، وهذا من أعظم الأسباب التي تحرم المسلم من بركات أعماله الصالحة ، وتبعًا لذلك يحرم حلاوة الإيمان .

رابعًا : من الخطايا التي يستهين بها كثير من المسلمين والمسلمات ، الغِيبة ، والنميمة ، وسوء الظن ، والإعجاب بالنفس ، وعدم الإحساس بما يصيب المسلمين من مصائب في كثير من البلاد ، وكل هذا أو بعضه يمنع من تذوق حلاوة الإيمان .

الإيمان وحسن الخلق

خامسًا : أعظم ما يقرب العبد إلى ربه ، ويدنيه منه ، ويُعْلِي منزلته عنده بعد أداء الواجبات واجتناب المحرمات « حسن الخلق » وهذا أمر أغفله أكثر الناس ، على الرغم من أهميته وأثره في استحقاق العبد درجات القرب عند الله .

والدليل على ما قدمت ما رواه الطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق بسند جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وَشُرَف المنازل وإنه لضعيف في العبادة** » .

وقال رسول الله ﷺ : « **أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن** » (أبو داود والترمذي بسند صحيح) .

وقد جاء في المراد بحسن الخلق حديث حسن رواه ابن مردويه عن جابر وأنس أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى : ﴿ **خُذِ العَفْوَ ، وأْمُرْ بالعُرْفِ ، وأَعْرِضْ عن الجاهلين** ﴾(الأعراف: ١٩٩).

ثم قال رسول الله ﷺ : «**هو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك**» .

ليس الإيمان مجرد شعائر

فإذا تبين ما تقدم ، علمنا أن الإيمان ليس مجرد شعائر تعبدية ، ولادوام تحريك اللسان بالذكر وقراءة القرآن ، وإنما هو عقيدة سليمة صافية لا زَيْغَ فيها ولا تحريف ، وإخلاص وتجرد لله ، ورغبة في إرضائه والتقرب إليه ، وطهارة للقلب عن كل صفة لا يحبها الله ، وعمارته بكل فضيلة تزكيه عند الله .

فمن وفقه الله وهداه ، ويسر له اكتساب تلك الصفات الحسنة واجتباه ، فحينئذ يحس العبد بحلاوة الإيمان ويطمئن قلبه ثقة برحمة الرحمن ، والدعاء مخ العبادة ، فمن أكثر منه ضارعًا إليه ، فقد انفتح له - بإذن الله - باب إلى الله ، ومن تقرب إلى الله شبرًا تقرب الله إليه ذراعًا ، ومن أتاه يمشي أتاه هرولة ، كما جاء في الحديث الصحيح .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لِنهتدي لولا أن هدانا الله .

مُحَمد سَلامة جَبر

كويت - السَالمية

ص ب : ٨١٠٢ رمز بريدي

22052

ت / ٥٧٣٧٧١٠

خاتمة

ياابن آدم !!

ياابن آدم ..

ما أتعسك إن لم يتداركك الله برحمته فيوفقك إلى طاعته ..

وما أبأسك إن لم يدخلك الله ـ برحمته ـ في صالحي عباده ويتم النعمة عليك حين يدخلك جنته .. أنت ياابن آدم مسكين بنفسك .. عزيز بربك .. ضعيف بذاتك .. قوي بإيمانك .. فكن حيث أمرك الله ، وإياك أن تكون ممن عصوا الله ، وغرتهم الحياة ..

• • •

ياابن آدم .. واثقك الإله من قبل ، وألزمك العهد .. وأنت في عالم الذر .. «ألست بربكم ؟ ! » . « قالوا : بلى ، شهدنا » . حتى إذا لبست ثوب الحياة فكنت روحًا في بدن .. وأوجدك الله بفضله بعد العدم .. أضعت الصلوات .. واتبعت الشهوات .. وأغرقتك الفتن المضلات ..

حينئذ .. قرع سمعك قول مولاك :

﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (يس : ٣٠) .

ياابن آدم .. حسبك قول مولاك فيك :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(إبراهيم : ٣٤)

وحسبك جهلاً أنك عرفت فجحدت ، ودعيت إلى الله فأبيت ، وحملت الأمانة فظلمت !!

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾

(الأحزاب : ٧٢) .

• • •

إنك ياابن آدم بائس مسكين مادمت لاهيًا عن ربك الكريم .. لقد غرتك العافية ياابن آدم .. عافية المال .. وعافية البدن .. وأعماك الهوى ..

هوى النفس .. وإغواء الشيطان .. فأضلك الله على علم بك ،

وما ربك بِظَّلامٍ للعبيد ..

• • •

فإذا حان الحساب .. وحلت قارعة العذاب .. وأدرك الغرق كل ظالم مُفْتَرٍ كذاب ..

قال ابن آدم : آمنت !!

« الآن وقد عَصَيْتَ قبلُ وَكُنْتَ من المفسدين ؟! »

مسكين .. مسكين .. مسكين ..

مسكين أنت ياابن آدم !!